

المخطوط العبري صورة من صور المعارف اليهودية الوسيطة

أحمد شحلان

كلية الآداب - الرباط

إذا كان مضمون مخطوط من المخطوطات، في علم من العلوم، يعتبر هدفا في حد ذاته، بوصفه وعاء معرفيا يقصد منه اكتساب المعارف لتدبير المجتمعات أو حفظ الأبدان، أو لبناء الأس المنطقي للتدبير في الخالق والمخلوق، فإنه زيادة على ذلك، يعبر عن ثقافة العصر واهتمام الإنسان وهَمّ الحاكم والمحكوم، ويكون أداة تاريخية غير مباشرة لما هَمَّ الصقع الذي ظهر فيه، اعتقادا سياسيا أو معتقدا إيمانيا. كما يعكس الفورة الاجتماعية أو الفكرية التي كان ذاك العصر ترتبها، يرفدها بما تجمع لديه من عناصر إنسانية أو تيارات فكرية أنتجها هذا المجتمع أو حملت إليه حملا.

ومحتوى المخطوط، في ضمه الموضوع الواحد أو المواضيع المختلفة، رمز في حد ذاته لا يخلو من خلفية فكرية لها دلالتها. والأدوات المادية عينها التي كونت هذا المخطوط من ورق أو رق، من مداد أو أصباغ، تعكس مستوى حضاريا له قيمته الفنية ومقدراته الإديولوجية. كما أن الملاحظة العابرة التي يضعها صاحب المخطوط، أو أحد قرائه في الهامش أو في الورقة المدخل أو الورقة الختام، تصبح لها قيمتها التاريخية التي تنضاف إلى القيمة المعرفية الأصلية التي احتواها المخطوط.

لقد كان لملاحظتنا المتأنية وتأملاتنا المتواضعة في المخطوط العبري الوسيطي ما أكد كل هذه الحقائق التي أشرنا إليها. لذلك اخترنا أن تكون مساهمتنا المتواضعة: «المخطوط العبري صورة من صور المعارف اليهودية الوسيطة».

كل مؤلف مكتوب هو في الحقيقة صورة لمعارف عصره بالبداهة. وإنما عنواننا بحثنا هذا بالعنوان أعلاه، لأن جل هذه المؤلفات التي كانت ثمرة ذاك العهد ما زالت مخطوطة دون تحقيق أو طبع. وما طبع منها كان متعلقاً أساساً بالفكر اليهودي إما مضموناً لأنه متصل بالديانة اليهودية، أو لأنه من مؤلفات علماء و«أخبار» يهود. أما ما اهتم به مفكرو اليهود من إرث عربي إسلامي، فدرسه أو ترجمه، فلم ير النور إلا النادر النادر منه. ويحتاج إلى جهود جبارة متضافرة لإخراجه إلى يد المطالع والمتفحص.

وقد اهتم العلماء منذ القرن السادس عشر بفهارس هذه الثروة الغنية مما تجمع في مكتبات أوروبا من هذا الإرث العبري العربي الإسلامي، مثل فهارس De Rossi⁽¹⁾، Caldenthal⁽²⁾، Steinschneider⁽³⁾، Munk⁽⁴⁾، Margoliouth⁽⁵⁾، Freimann⁽⁶⁾، Vajda⁽⁷⁾، C. Sirat⁽⁸⁾ وغيرهم. ولكثرة هذه المخطوطات وأهميتها القصوى، خصّصت لها إسرائيل مؤسسة خاصة تعرف بمعهد ابن تصقي، مهمتها جمع هذه المخطوطات والحصول على نسخ منها بالمكروفيلم أو المكروفيش أو التصوير.

وسنعمد في هذا البحث على بعض مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس. وتعد هذه المكتبة من أهم المؤسسات التي تتضمن أكبر عدد من مخطوطات الإرث

-
- De Rossi, Mss. Codices Hebraici Biblioth. I.B. de Rossi Parmae, 1803. (1)
- Die nevarworbenen Handschriftlichen hebraischen werker der K.K. Hofbibliothek ZU Wien 1851. (2)
- Cat. Librarum Hebraeorum in bibliotheca Bodllina.. Welt-Verlag Berlin, 1931. (3)
- **Die Handschriften - Verzeichniss der Konglichen Bibliothek Zu Berlin**, Berlin, 1879.
- **Die Hebraischen Übersetzungen des Mittelalters und die Juden als Dolmetscher**, Graz 1956 (réédition)
- **Manuscripts hébreux de l'oratoire à la Bibliothèque Nationale de Paris, notices inédites**, (4) Hebraische Bibliographie 11-4^e vol. 1907 - 10, Francfort-sur-le Main. Kauffmann, 1911.
- **Bulletins du fond de l'oratoire, 1 à 159. Mss. (Bib. Nationale de Paris)**
- **Cat. of the Hebrew and Samaritan, Mss. in the British Museum, London, 1915.** (5)
- **Union Catalog of Hebrew Manuscripts and their location**, Cambridge. AT the University Press, 1921. (6)
- (7) أعاد G. Vajda وصف المخطوطات العبرية بالمكتبة الوطنية بباريس ولم ينشر بعد هذا الفهرست.
- **Comité de paléographie hébraïque, Manuscripts médiévaux en caractères hébraïques partant des indications jusqu'à 1540. I.II.III. C.N.R.S. Paris — Jérusalem, 1979.** (8)

العبري العربي الإسلامي لأسباب أشرنا إليها في أبحاث أخرى⁽⁹⁾. ولها تيك الأسباب
تتخذ هذه المخطوطات وسيلة تتوسل بها إلى معرفة اهتمام طوائف يهود الغرب
الإسلامي الفكرية، وانشغالاتهم العلمية والذاتية. فما هي مواضيع المخطوطات التي
تحتويها المكتبة الوطنية بباريس؟

تتضمن مخطوطات المكتبة نصوصاً وترجمات للكتاب المقدس (التوراة)
وفهارس تورانية ومأثورات وتفسيرات يهودية وفقهاً وتلموداً وتشريعات وعبادات وكتب
صلوات وكتب كلام و«لاهوت» وتصوف (قابلا) فعلوم فلسفة، فعلوم العدد
الطبيعية والفلك والتنجيم، والطب والجراحة، واللغة والتاريخ، والشعر والمراسلات
والفتاوي والفهارس. وتمثل كل هذه المواضيع في 1430 مجموعاً⁽¹⁰⁾.

ووضع المجموع في طريقة جمعه وانتقائه يكون في غالب الأحيان عن قصد
وبتفكير، استجابة لرغبة عالم أو مدرسة، بل مجموعة من الدارسين. وقد تكون طريقة
جمع المخطوط دالة على نوع من الثقافة التي هي النسق الفكري السائد في مجتمع ما،
أو على نوع من الثقافة التي تريد أن تحمي نفسها داخل نوع معين من الفكر يريد
جهضها أو القضاء عليها. وهذا ما يبينه المجموع 956 ع، من مخطوطات المكتبة
الوطنية بباريس. فهذا المجموع يتضمن: أخلاق نقماخ، تلخيص ابن رشد، ترجمة
شموئل المرسل، مقاصد الفلاسفة، ترجمة اسحق البلا، تهافت التهافت ترجمة،
قلونيموس بن طدروس، مختصر المنطق، ترجمة شموئل بن يهودا، مختصر السماع
الطبيعي والسماء والعالم والكون والآثار ترجمة موسى بن تبون، والمقالة الـ XI من
الحيوان ترجمة ابن مخير، مختصر الحس والمحسوس وما بعد الطبيعة ترجمة موسى
بن تبون، وسماء جامعه الذي جمعه بمرسيليا في منتصف القرن الرابع عشر
«זבנקה לזבנקה»: «زبنقة المعرفة» أو «زبنقة الطلب»، وافتتحه بأشعار أنبأت عن
واقع الصراع الذي كان قائماً في القرن الرابع عشر، بين الأبحار والمتنورين من اليهود
الذين اعتبروا الفلسفة والمنطق أداتين ضروريتين لتقويم الفكر السليم. وقد استعمل
الجامع في شعره ألفاظاً حادة غير بها هؤلاء المعارضين. والجمع في حد ذاته يظهر

(9) انظر بحثنا: «المخطوطات العربية الإسلامية المكتوبة بالخط العبري أو المترجمة إلى العبرية» في:
المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي، وضعية المجموعات وآفاق البحث، منشورات مؤسسة الملك
عبد العزيز بالدار البيضاء - ولادة، 1990، ص. 285 وما بعدها.

(10) — Cat. Manuscrits hébreux et Samaritains de la Bibliothèque nationale (1866)

هذه النزعة العقلانية إذ ذاك؛ إذ يضم المجموع مجموعة من كتب ابن رشد بالإضافة إلى مقاصد الغزالي دون غيره. وكان وضع المقاصد هنا ذكياً؛ إذ وضعه الجامع مصحوباً بشرح موسى النربوني وتعليق اسحق البلاك المترجم، والرجلان معا رشديان، فهذا الوضع بهذه الطريقة إذاً يسير في مسار ذلك الصراع الحاد المشار إليه. ويفيدنا المجموع أيضاً أمراً آخر له أهميته في تاريخ الفلسفة على العموم، والرشدية على الخصوص. «فزيقة المعرفة» برنامج قائم الذات لمدرسة فكرية فلسفية كانت بجنوب فرنسا، وبالخصوص في مرسيليا والمناطق المجاورة لها؛ وكان لهذه المدرسة الفكرية اسمها الخاص بها وهو **כת המעלינים** (أهل النظر). جاء في نص مقاصد الغزالي، في شرح موسى النربوني، مقالة صغرى⁽¹¹⁾ ليهودا بن اسحق الكوهن، تلميذ شموئيل بن يهودا المرسلي، وفيها أطلق على نفسه اسم «صاحب النظر». كما ذكر أنه أرسل رسالة إلى الفيلسوف رأس «أهل النظر» الربى قلونيموس بن اسحق نتن⁽¹²⁾. وجاء أيضاً في مخطوطة تهافت التهافت المحفوظة بأكسفورد: قال قلونيموس طدروسي من «أهل النظر»⁽¹³⁾. وجاء في ترجمة مختصر المنطق التي أعدها شموئيل بن يهودا المرسلي، والتي يتضمنها هذا المجموع: ... وظل الكتاب مشوشاً غامض المعنى، فخفي فهمه عنا نحن معشر النظار⁽¹⁴⁾. وعليه فإن البروفانس احتضنت في القرن الرابع عشر مدرسة فكرية ربما كان محورها ابن رشد وابن ميمون، وأطلقت على نفسها «أهل النظر» أو «النظار»⁽¹⁵⁾. ويرى برمان أن مركزها كان بمرسيليا، وأن علماءها اعتبروا أنفسهم حاملي لواء الفلسفة، ومنهم شموئيل بن يهودا المرسلي ويهودا بن

(11) انظر La question disputée de l'Essence et de l'Existence vue par Juda Cohen. Archives H.D.L.M.A., p. 44 (1978)

(12) E. Renan, *Ecrivains Juifs Français*, imp. nationale, Paris, MDCCLXXVII, pp. 653-654.

وانظر في موضوع هذه الفقرة:

כתב יד המכונה שושן למודים ויחסיו ל"קהל המעלינים

הפרובנסאלי, א.ז. ברמן קריית ספר Vol 53, N° 2 (1-2) April 1978

(مخطوط المسمى «زيقة المعرفة» وعلاقته بفرقة «أهل النظر» بايرفانس. أ. ز. برمان.

(13) المقالة أعلاه، ص. 371.

(14) انظر نص الخاتمة في مخطوط 956 عبرية - باريس. الورقة 350.

(15) جاء في خاتمة ترجمة تلخيص كتاب النفس لابن رشد، ترجمة شم طوب ابن اسحق: «وهنا يتقضي

كتاب النفس لارسطو مع تلخيص ابن رشد المناظر...»

مخطوطة باريس رقم: 965.

اسحق كوهن تلميذه وقلونيموس بن طدروس وقلونيموس بن اسحق نتن، وكان رأسهم **ראש המעינים** «وأخذ هؤلاء على عاتقهم تصحيح الترجمات السابقة، ووضع الشروح على كثير من النصوص الفلسفية ومراجعتها ودرسها. ويفترض برمان أن يكون جامع «زنيقة الطلب أو المعرفة» هو يهودا بن اسحق كوهن(16).

ووجد نظير لهذه الجماعة من العلماء في أماكن أخرى من البروفانس؛ إذ جاء في مقدمة إحدى رسائل موسى التربوني الطبيعية(17) أن التربوني هذا عمل الشرح نزولا عند رغبة إخوانه بيزينيان بعد أن فارقهم، وقد سمي هؤلاء في المقدمة ب: **כת האחים** (جماعة الإخوان). وتوحي هذه التسمية بوجود جماعة من المتأدبين الفلاسفة بين ظهرائي الطائفة بالمدينة المذكورة، وهو الأمر الذي جاء صريحا في مقدمة **חי بن يقطان**، حيث دعاهم:

נכבדי החברה מדורשי החכמה אשר בעיר פרפיניאן

«أعيان الجماعة من طالبي العلم الذين بمدينة بيزينيان»(18).

ومن الجلي أن هذا المخطوط في انتقائه ومقصدته، وما أثاره من قضايا وما لمح إليه من مذهب فكري معين يعتبر علامة بارزة في الانتقاء المعرفي الذي عرفت به مجموعة من علماء اليهود في الغرب الإسلامي. وقد أكد تصفحنا لحوالي ثمانين مخطوطا مقصدية الجامع أو الناسخ في انتقائه، كما بين أيضا غنى هذا الاختيار وتنوعه. إذ تتضمن هذه الثمانون مجموعة ثلاثمائة وثلاثة وأربعين نصا من بينها مائتان وخمسة وعشرون نصا مع التكرار لابن رشد وحده. وهذا يؤكد أهمية ابن رشد عند يهود الغرب الإسلامي في الأندلس وبعد الرحلة من الأندلس، وتضمنت هذه النصوص الرشدية المنطقيات والطبيعات والإلهيات والمقالات الصغرى والأخلاق وتلخيص الجسطي وفصل المقال والكشف عن مناهج الأدلة والتهافت والمقالات الطبية. وتبين لنا هذه المجموع الرشدية أن اليهود كانوا يمتلكون في الأندلس نصوصا رشدية مكتوبة

(16) مقالة برمان المذكورة أعلاه، ص. 372.

(17) جاء جل هذه الرسائل في مخطوطة باريس 988 (a,b,c,d,e,f,g, 2 et 1). أما الرسالة التي أشرنا إليها فغير موجودة ضمن هذا المجموع، وإنما ذكرها مونك في Notice 988.

(18) مخطوطة باريس 915، ورقة 11أ، ويدعوهم في السطور الأولى من المقدمة: «...النظار في الحكمة الذين اصطفوني واصطفيتهم...»

بلغتها العربية، ونصوصاً أخرى كتبت في أصلها العربي بخط عبري. وبعد أن غادر يهود الأندلس مستقرهم هذا، بل وقبل ذلك، انطلقت حركة هائلة لترجمة النص الرشدي على الخصوص والنصوص العلمية والفلسفية العربية على العموم. وكانت مراكز هذه الترجمات في الأندلس وشمال إسبانيا وجنوب فرنسا وفي إيطاليا وصقلية. وتبرز هذه المواقع تركز الفكر العربي الإسلامي في هاتيك النصوص قبيل النهضة، مما سيجعلها تلعب دوراً أساسياً في أدبيات النهضة وفي فعلها وتأثيرها. كما تدلنا على وجود حركة علمية هائلة تؤكد وجودها بوجود نساخ و نساخ في الأندلس وجنوب فرنسا وإيطاليا وبالأخص في القسطنطينية. ونشطت هذه الحركة خلال القرون : الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، وانشغل التراجم والنساخ في تلك الفترة، إضافة إلى فكر ابن رشد، بآثار أخرى إغريقية وإسلامية ويهودية ومسيحية تفصح عنها هذه المخطوطات كآلآتي :

أ - أسرار الحجر الكريم المنسوب لأرسطو. كتاب النبات وكتاب تدير المنزل له، شذرة من الكتاب IV من الطبيعة. مقالة الإسكندر في النفس المقالة المسماة بحرف اللام، شرح تامسيطوس المجسطي لبطلميوس.

ب - حكم الفلاسفة من ترجمة حنين ابن اسحق. الشفاء، الطبيعيات من كتاب النجاة لابن سينا، شرائط اليقين، مختصر لأركنون، فصول يحتاج إليها في صناعة المنطق، العقل والمعقول، مبادئ الموجودات، التنبيه على طريق السعادة، عيون المسائل، في ماهية النفس مقالة في غرض أرسطو من كتاب ما بعد الطبيعة، وكلها للفارابي، مقاصد الفلاسفة ومقالة لأبي حامد الغزالي جواباً عن أسئلة وجهت إليه، رسالة الحيوان لإخوان الصفا، رسالة الوداع ورسالة في نفس الموضوع لابن باجة، نتف من كتاب الزهراوي التصريف، شرح لقسم من تلخيص الفرغاني على الفلك، في دائرة الكرة لابن سهل.

ج - فصول من اليد القوية لابن ميمون، في الربو والبواسير والمقالة الفاضلية والفصول في الطب وألفاظ المنطق له أيضاً، باب السماء لابن حرسون، تفسير دلالة الحائرين، الجهاد في سبيل الله، شرح مختصر النفس، شرح السماء والعالم، نتف من شرح المقولات، تفاسير توراتية، وهي أيضاً لابن حرسون. كمال النفس، تفسير دلالة الحائرين لموسى الزبوني. الأمانات والاعتقادات لسعدية كؤون، العناصر لإسحق

الإسرائيلي، مقالة في ماهية النفس لزرحية بن إسحق، مسائل فلسفية لأبراهام بن شم طوب بيباكو، مقالة في الهويولي لشم طوب بن يوسف، كنز الملوك لإسحق بن لطيف، العلم الصغير لموسى بن تبون، مطلب الحكمة ليهودا بن سلمون بن كوهن. شرح الآثار العلوية لشموئل بن تبون. شرح تلخيص البرهان لابن رشد لأبراهام بن شم طوب، الحجر الفاحص لفلونوموس بن فلونيموس أشكال الفضة، وفي المنطق ليوسف كسبي. أسس الرهبة الإلهية لأبراهام بن عزرة، صور العناصر لإسحق برفئيل، الروح الرحيم، منسوب ليعقوب أنطولي. ملاحظات فلكية لبروفان دوران. ربع اسرائيل (فلك) ليعقوب بن مخير. مقالة في الفلك لعمانوئل بن يعقوب الترסקوني.

ربع الصورة القمرية، مقالة في تعدد الصور، مقالة هل الوجود حادث بالعرض؟ تعاريف للعناية لأبقور وأسطو وابن ميمون ولثي بن جرسون، معجم لمفردات نباتية طبية، شرح على قسم من قانون ابن سينا، قائمة بالنجوم الثابتة مع تعيين خطوط العرض لمفردات طبية. ولم يرد هذه ذكر لمؤلف في مخطوطاتنا. تفاسير توراتية لأبراهام بن عزرة ويهودا بن موسى بن دانئيل وزارقة رفات. تفسير من كتاب «مشاهدة الله» لحنون بن سلمون بن القسطنطيني.

د - منطوق بطرس الإسباني. تعاليق على فقرات من طبيعة أرسطو ل Robert de Tincoln، تعاليق على النفس له، أسئلة وأجوبة لألبي الكبير.

ويتضح من هذه النصوص التي جاءت في المجموع التي تضم مؤلفات لابن رشد⁽¹⁹⁾ أن يهود الغرب الإسلامي وأحفادهم ممن انتقل إلى الشمال أو نزل إلى الجنوب كانوا يشتغلون بالإرث الإغريقي والعربي الإسلامي وكذا ببعض الآثار المسيحية مع العناية ببني جلدتهم من يهود الأندلس أو الطوائف الأخرى، كما تدل على ذلك علامات تمليك هذه المخطوطات. على أن اليهود ظلوا يعتنون بها وينسخها حتى القرن الثامن عشر، بل التاسع عشر، في هاتيك الأماكن المشار إليها أعلاه. فنجد مثلا أن المخطوط :

(19) ذكرنا هنا النصوص التي جاءت في مخطوطات بها مؤلفات ابن رشد دون غيرها، وقد عربنا عناوينها. ولا يعني أن هذه النصوص هي وحدها التي كان يشتغل بها يهود الغرب الإسلامي؛ إذ ضمت باقي المخطوطات التي توجد بالمكتبة الوطنية بباريس مات من الأعلام الإسلامية وغير الإسلامية، أندلسية وشرقية، ممن اشتغل بعلم الحكمة وعلم الرياضيات وعلم الفلك والطب واللغة والآداب والموسيقى بل والتشريع أيضا.

894 كان في ملك قرسيقاس قرشنت سنة 1435.

899 و925، كان في ملك فردخاي ثنيزي سنة 1446.

948، اشترى المخطوط كالب أفوندو پولو، وهو يهودي من مذهب القرائين، أي الذين لا يعترفون إلا بالتوراة وحده كتابا مقدسا، وكان يعيش بالقسطنطينية، اشتراه لابنه سنة 1489، وكان كالب هذا يضع كثيرا من التعليقات والهوامش على مخطوطاته التي جمع منها كثيرا.

923، اشتراه أبولوس سنة 1538، يقول : «اشتريت هذا الكتاب أنا أبولوس وكنت يهوديا أيام Duc Andrea Gritti سنة 1538/5298... وقد تمسحت عن طيب خاطر تحت ظل المسيح من نسل داوود».

941، كان في ملك اسحق لاتس ب Carfou سنة 1536، وهي نفس السنة التي نسخه فيها سمحه بن يهودا.

1088، يحمل علامة Dominco Irosmitans، سنة 1599، دون تاريخ وAllessandro Scipine سنة 1597.

971، يحمل علامة Dominco المشار إليه أعلاه سنة 1599، ويحمل أيضا علامة Grev Don Carretto سنة 1625.

910، كان يمتلكه يعقوب بن اسحق رومانو سنة 1619، وبعده حمل خاتم Vansaleb الذي اشتراه من القسطنطينية سنة 1676.

884، 1150، 928، كلها من مشتريات Vansaleb في القسطنطينية سنة 1676، ونعتقد أن هذا الأخير كان يشتري المخطوطات ل Colbert الذي ستكون مخطوطاته جزءا مهما من محتويات المكتبة الملكية إذ ذاك، أو المكتبة الوطنية بباريس كما سميت فيما بعد.

3949 نسخ المخطوط بالقسطنطينية سنة 1470، ويوجد به عقد البيع : اشتريت هذا الكتاب أنا أبراهام اليرشليمي إلى سيدي سمحه اليرشليمي رأس الطائفة بالقسطنطينية سنة 1810.

إضافة إلى هذه المعلومات المتعلقة بتمليك المخطوطات، وبعض الإشارات إلى المالكين، هناك إشارات عابرة أتت في مقدمات الترجمات تحبنا ببعض أدوات العمل

التي كان يستعملها المترجم، وهي عنصر من عناصر ثقافة اليهود إذ ذاك. إذ يحدثنا طدروس طدروسي. مترجم تلخيص الخطابة لابن رشد سنة 1337، أنه استعمل كتاب العين للخليل الذي لم يستطع الحصول عليه المترجمُ شموئيل بن تبون، وأنه بفضل هذا الكتاب صارت لديه الترجمة سهلة وميسرة. وإذا علمنا أن شموئيل بن تبون المولود سنة 1150 والمتوفى سنة 1232، كان ينتقل بين جنوب فرنسا وإسبانيا، وخصوصا برشلونة وطليطلة، أمكننا أن نطرح السؤال: ألم يكن كتاب العين للخليل متيسراً أيام بن تبون؟

كما أن مقدمات المترجمين وهوامش بعض المخطوطات تؤرخ لأحداث تعرض لها اليهود، فنجد مثلاً إسحق بن موسى لقي المعروف بافودي (ق 14—15)، وهو من جنوب فرنسا وتردد على إسبانيا، يستعرض أحداثاً تعرض لها يهود إشبيلية وباقي إسبانيا في مؤلفه «خزي الأمم»، الذي ألفه سنة 1391. حيث يذكر أنهم أُجبروا على التمسح⁽²⁰⁾.

ومن أهم ما جاء في هوامش بعض المخطوطات آراء المترجمين أو النساخ، وتعتبر هذه الآراء جزءاً من الجدل العقدي الذي كان يجري في هذا المحيط العلمي الذي ذكره ابن حزم كثيراً في مؤلفه الفصل في الملل والأهواء والنحل. ونختار نموذجين اثنين من هذا النوع، أولهما جاء في مخطوط الغزالي، مقاصد الفلاسفة، الذي ترجمه أبراهام بن حسداي بن شموئيل هلفي البرشلوني، إلى اللغة العبرية بين سنتي 1225 و1240⁽²¹⁾. فبعد أن ذكر الغزالي «تطهير النفس بالأخلاق وبين أن الأمور تنكشف للأنبياء والأولياء وتسعد نفوسهم بنيل كمالها بالزهد في الدنيا والأعراض والتبري عن علائقها والإقبال بكل الهمة على الله تعالى، فمن كان لله كان الله له» وليس بالتعليم⁽²²⁾، أضاف المترجم. «وأقول أنا المترجم: يظهر أن الصوفية لم يحددوا عن هذا الإيمان الفاسد وإنما هو إيمانهم بمحمد وما قالت عنه أمته، إذ قالوا أنه كان

(20) مخطوط بودلين - أكسفورد، رقم 2153؛ انظر أيضاً 750 *Les Ecrivains*

(21) انظر بحثنا «كتاب ميزان العمل لأبي حامد الغزالي، الترجمة العبرية، الميزان بين المفاهيم الإسلامية والتقاليد العبرية» في: *Ghazali, la raison et le miracle*, Maisonneuve et Larose, Paris, 1987, pp. 93-117

(22) *ميزان العمل*، سلسلة ذخائر العرب [تحقيق وتقديم سليمان دنيا]، دار المعارف العصرية، طبعة أولى - 1964، ص. 222.

أميا لم يطلع على الحكمة مطلقا، ولم يقرأ كتبها، ولم يشغل نفسه إلا بالصلاة والتعبد. وهذه حيلة منه حتى يؤمن العامة بنبوته ويعترفوا به» (23).

ويتضح من هذا النص الذي أقحمه المترجم في نص الغزالي نوع من الجدل الذي استعمله اليهود إذ ذاك. أما المثال الثاني فجاء في مخطوطة تهافت التهافت لابن رشد، المخطوطة رقم 910 بباريس. ففي مسألة في إبطال قولهم إن وجود الأول بسيط، أي هو وجود محض ولا ماهية ولا حقيقة ينضاف الوجود إليها بل الوجود الواجب له كالماهية لغيره يقول ابن رشد : «وينبغي أن تعلم أن الحدوث الذي صرح الشرع به هو في هذا العالم من نوع الحدوث المشاهد ها هنا، وهو الذي يكون في صور الموجودات التي يسمونها (هكذا) الأشعرية صفات نفسية وتسميها الفلاسفة صورا، وهذا الحدوث إنما يكون من شيء آخر في زمان». بعد هذه الجملة أضاف ناسخ مخطوطة تهافت التهافت، «قال الناسخ : في هذا الموضوع قد أتى الكافر ابن رشد بأقوال قالها المجنون (الغبي) النبي في القرآن في (موضوع) الحدوث يمكن أن تعتبر دلائل على وجود زمن سابق على الخلق وما قبل حدوث بعض الأشياء التي منها خلقت السماوات والأرض. ولم أرد نسخها، ويلزمك أنت أيضا أن لا تبلبل ذهنك، إذ لا عجب أن يأتي هذا الأمر من ابن رشد، وإنما العجب أن يأتي من بعض علمائنا الذين تبلبلت أفكارهم بهذا، كما ذكر الربيعي موسى (ابن ميمون) في الفصل الثاني من الدلالة» (24).

ولا توجد هذه الزيادة إلا عند ناسخ مخطوطة 910 بباريس، وليس لها وجود في أية نسخة أخرى من النسخ التي اطلعنا عليها مما هو معروف حتى الآن. ويقصد الناسخ بـ «الأقوال» الآيتين اللتين جاءتا عند ابن رشد بعد هذه الجملة وهما : «...ويدل على ذلك (الحدوث) قوله : أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا... (الأنبياء 30)» ؛ وقوله تعالى : «ثم استوى إلى السماء وهي دخان» (فصلت 141) (11).

والغريب أن الناسخ نقل الآيتين مترجمتين إلى العبرية بالرغم من أنه قال لا يريد أن ينقل هذه «الأقوال». والجدير بالذكر أن هذه الفقرة تذكرنا أيضا بمعارضة

(23) نشر نص الترجمة يعقوب كولد نطال بلايزك 1839، ويوجد النص في الصفحة 49 من هذه النشرة. ويوجد النص في مخطوطتي 911 و912 عبرية بباريس.

(24) مخطوط بباريس 910، الورقة 136 ب. ويقصد بالقسم الثاني، الفصل الثالث عشر من دلالة الحائرين.

الأخبار ومن نحا نحوهم للدراسات الفلسفية، وهو ما ألمعنا إليه سابقاً.

إن ما ذكرناه أعلاه مما جاءت به مخطوطات باريس العبرية، لا يمثل إلا جانباً واحداً من جوانب غناها الشكلي، وإلا فإن دراسة مقدماتها وخواتمها وهوامشها وما أضيف في أوراقها الأولى والأخيرة أو ما رسم في حواشيتها، أو أنواع الخطوط أو طريقة التفسير أو الأختام التي وضعت على هذه التفسيرات أو أنواع الورق أو الرق - أقول إن كل هذا يمثل معيناً ثراً يجب أن تُعدَّ له العدة المادية والمعنوية لاستخراج معادنه وسبر أغواره؛ وقد يكون هذا المنهج سبيلاً آخر لنفض الغبار وإجلاء المعنى عن فترة من أزهي فترات فكرنا في الغرب الإسلامي.